سير الزمان

نجم اليابان الطالع

في الشرق الاقصى

١ — طريق مفرليا

٢ — الاتجاه جنوباً

٣ — التقلقل السلمي

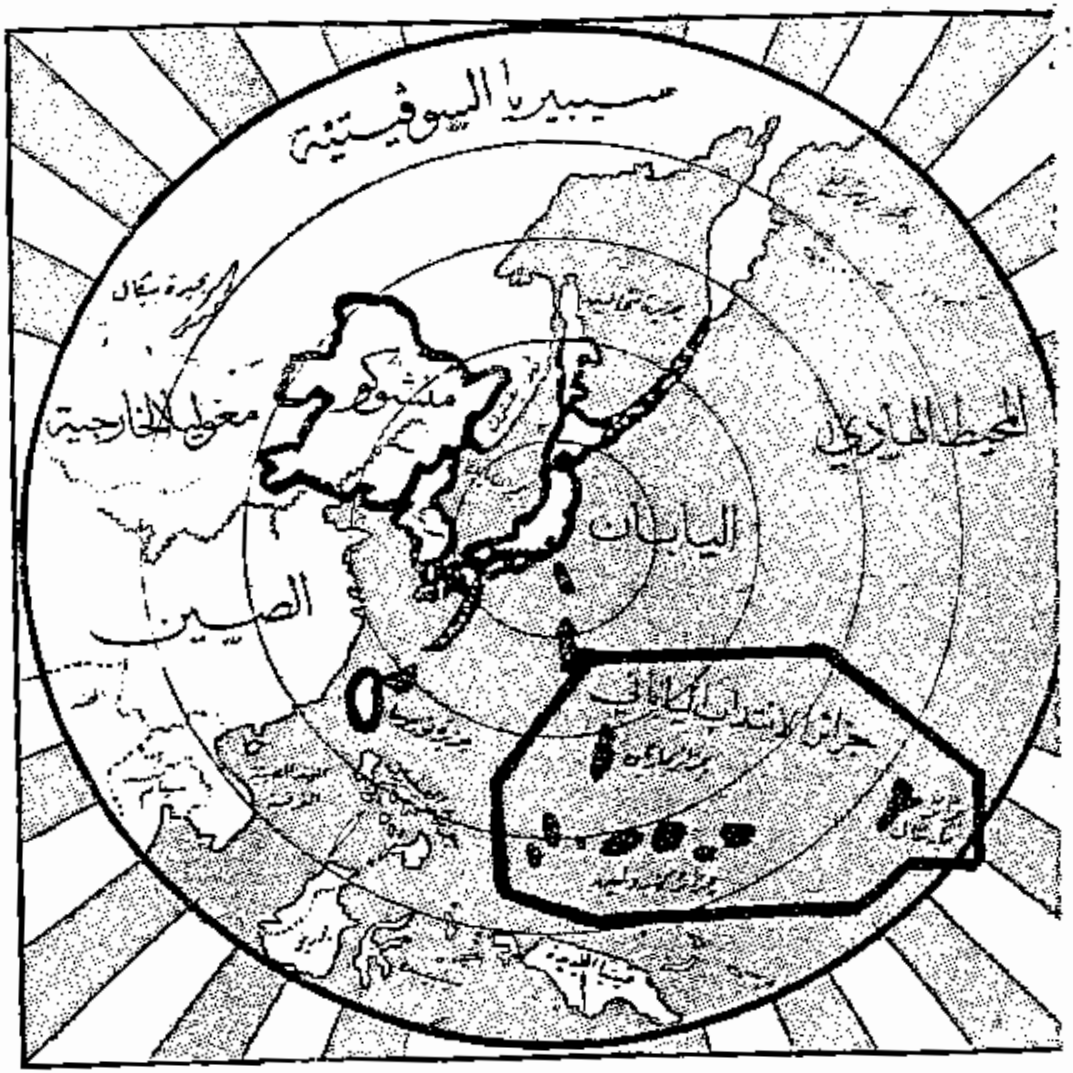

خريطة تبين دوائر التوسع الياباني في الشرق
الاقصى بحسب مذكرة « تاناكا » المشهورة

نجم اليابان الطالع

في الشرق الاقصى [1]

من ثمانين سنة فتحت ابواب اليابان للعالم بواسطة سفن القائد البحري الاميركي بري Perry

كانت مملكة اليابان قد قضت قرنين من الزمان قبل ذلك وهي منعزلة عن العالم، بل كان محظوراً في عهد « الشوغن » على اليابانيين السفر الى الخارج او الاتجار مع الاجانب ومن يفعل يجزَ بالموت . وزاد من ذلك ان بناء السفن اذا استثنينا زوارق الصيد كان عملاً يعاقب عليه

فلما اتصل اليابانيون بالغرب ، وبالافكار الغربية ، اقبلوا عليها واخذوا بها . فلم يكد ينقضي جيلان على وصول الكومودور بري الى سواحل امبراطورية الشمس الطالعة : حتى كانت اليابان قد انشأت قوة عسكرية وبحرية تحاذر صولتها، وشرعت تتوسع. ولكن الدول الغربية كانت حينئذ قد رسخت اقدامها في الصين ، فلما رأت تطفل روسيا في شرق اسيا وضغطها على شمال الصين ، رحّبت بقيام اليابان وبتعزُّز قوتها لتكون لها بمنزلة الثقل الذي يحفظ الميزان . وكان لبريطانيا وهي خصم روسيا القديم ، أكبر الشأن في تشجيع اليابان وتأييدها فعقدت معها في سنة ١٩٠٢ معاهدة لم تلبث حتى تحوّلت الى محالفة حربية. فلما نشبت الحرب الروسية اليابانية في سنة ١٩٠٤ — ١٩٠٥ تمكنت اليابان بمساعدة فريق من الدول الغربية من قهر امبراطورية القياصرة

وكذلك خطت اليابان خطوتها الاولى على طريق التوسع الامبراطوري . كانت في العقد الثامن من القرن الماضي ، قد ضمّت اليها بعض جزائر في المحيط الهادي ، وفي سنة ١٨٩٥ انتزعت جزيرة فورموسا المتاخمة للساحل الصيني وفي سنة ١٩٠٥ استولت على نصف سخالين الجنوبي من روسيا وفازت بامتيازات كبيرة الشأن في منشوريا وفي سنة ١٩١٠ ضمّت كوريا اليها وهي شبه الجزيرة الممتدة من جنوب منشوريا على الساحل الصيني

وفي خلال ذلك ، اخذ سكان اليابان في الازدياد . فقد ظلّ عددهم ستة وعشرين مليوناً من سنة ١٧٢٠ الى سنة ١٨٤٠ فبلغوا ٣٣ مليوناً سنة ١٨٧٢ واربعين مليوناً سنة ١٨٩٩ وخمسين مليوناً سنة ١٩٠٩ وهم الآن نحو خمسة وستون مليوناً ويزيدون نحو مليون كل سنة

كانت اليابان حتى السنة التي فتحت فيها ابوابها للاتجار مع الغرب ، تعيش في عزلة ولا تعارس من ضروب الزراعة والصناعة الا ما يكفيها ، ومع ان بعض الصناعات الفنية فيها كانت

---

(١) مقال مبني على الفصل العاشر من كتاب « ساعة التاريخ » تأليف برنشرد فروته

قد بلغت مرتبة عالية من الدقة والاتقان ، كصناعة السيوف والرماح والصيني والمينا ، لم يكن انتاج تلك الصناعات يوزَّع الاَّ في نطاق ضيق . فلما سقطت دكتاتورية «الشوغن» وأعيدت امبراطورية المجدي في سنة ١٨٦٨ اتسع المجال لما يتصف به الشعب الياباني من القدرة والبراعة في الصناعة . وما أهلَّ القرن العشرون حتى كانت اليابان قد قطعت شوطاً على طريق الرقي الصناعي الحديث

فلما نشبت الحرب الكبرى وطال امدها ، أتيح للصناعة اليابانية فرص لم يحلم بها اصحابها . فقد كانت الدول الغربية في أشد الحاجة إلى كل ما تصنعهُ اليابان او تستطيع ان تصنعهُ . ثم ان انشغال تلك الدول بالحرب ، تَرك السوق الصينية مفتحة الابواب للتجار والصناع اليابانيين . فنشأت في البلاد اليابانية مراكز صناعية ، اجتذبت إلى المدن ملايين من الفلاحين الذين لا يملكون ارضاً . ثم ما لبثت الصناعة نفسها حتى غزت الريف ، فشقَّت الطرق ، ومدَّت الاسلاك تنقل الطاقة الكهربائية الى اصغر القرى ، واتسع نطاق الصناعة اتساعاً عظيماً ، وإذا اليابان في مدة وجيزة قد اصبحت أمة صناعية . تعتمد على التجارة الخارجية في إقامة اود شعبها

وقد جنت اليابان من الحرب الكبرى ، علاوة على تقدمها الصناعي ، استلاكها للجزائر الالمانية في جنوب المحيط الهادي وهي جزائر لها مكانة حربية لانها تعترض سبيل الولايات المتحدة الاميركية الى جزائر الفيلبين وسواحل الصين علاوة على كونها قاعدة للتوسع الجنوبي . وتقول «استلاكاً» قصداً لان اكتساب جمعية الامم لهاعلى تلك الجزائر ليس في عرف اليابانيين الاَّ ستاراً رسمياً يخفي وراءهُ تلك الحقيقة . ثم أنها انفردت بالسيطرة الاقتصادية تقريباً على منشوريا

فلما عقد مؤتمر وشنطن البحري سنة ١٩٢١ — ١٩٢٢ طالبت اليابان لاول مرَّة في تاريخها الحديث بأن يعترف بها دولة بحرية في الطبقة الاولى بين الدول البحرية ، وفازت بما طلبت عند ما اقرَّ المؤتمر النسبة المشهورة ٥ : ٥ : ٣ لقوة البوارج في اساطيل بريطانيا واميركا واليابان ، لان هذه النسبة ، كانت كافية لتجعل لها السيطرة البحرية في بحار الشرق الاقصى ، بالقياس الى ما تستطيع الدول الغربية تجشمهُ فيها من السفن الحربية . وعقدت في المؤتمر نفسه معاهدة الدول التسع ، التي ضمنت بها الدول التي وقعتها سلامة الصين ووحدتها الجغرافية والسياسية وسياسة الباب المفتوح في الصلات الاقتصادية بها

في السنوات العشر التي تلت توقيع هذه المعاهدة ، كانت العلاقات بين اليابان والدول الاجنبية متسمة بسمة القلق ، لانهُ وضح ان اليابان ترمي الى بسط سيطرتها على الصين . وكانت الصين في خلال هذه السنوات منكوبة بحروب اهلية وثورات متواصلة ، فأتاح ذلك لليابان فرصة التدخل في شؤون جارتها الكبيرة

ورأى اليابانيون سبيل النصر السهل ممهداً ، ومشكلاتهم الداخلية تزداد تفاقماً فكان ذلك

باعثاً لهم على الاستسلام لتوازع التبسط الامبراطوري . وكانت السيطرة على الجيش في أيدي فريق من الضباط المتطرفين في الوطنية وعلى رأسهم الجنرال اراكي ، فجعل يتدخل في خطط الحكومة الداخلية والخارجية حتى اصبحت كلمتهُ فيها الكلمة العليا . وكانت المنشآت الدمقراطية حديثة العهد في البلاد ، فلم تقوَ على الثبات في وجه قوة الجيش . وكذلك كان الجيش الفينة بعد الفينة ، يسير باليابان في طريق المغامرة على الساحل الاسيوي

فلما عقد مؤتمر لندن البحري سنة ١٩٣٠ طالبت اليابان بأن تمنح حق بناء أسطول تكون قوتهُ ٧٠ في المائة من قوة أسطول انكلترا او أسطول الولايات المتحدة الاميركية . وبعد بحث طويل رأتْ وفدها بقبول النسبة التي عينتها معاهدة وشنطن البحرية ، فلقي هذا التسليم مقاومة عنيفة في اليابان . وكان من نتائجها اغتيال رئيسين من رؤساء الوزارة اليابانية ، أحدهما هاموجاشي والثاني اينوكاي ، اغتالها ضباط من متطرفي الوطنيين في الجيش

فكان هذا الاغتيال ايذاناً بانهيار الحياة البرلمانية في معناها الصحيح في اليابان ، وبقيام سيطرة الجيش . وفي سنة ١٩٣١ بدأت القوة التي تمهدتها الدول الغربية بالتشجيع والتأييد تنقلب على صانعيها

ان « حادثة مكدن » التي وقعت سنة ١٩٣١ وكانت مستهل الغزو الياباني للصين ، من الحوادث التي تغير مجرى التاريخ . ففتح منشوريا ، الذي كان نتيجتها المباشرة ، لم يكن الا مرحلة واحدة من خطة يابانية مدبرة غرضها اخضاع الصين واخراج الدول الغربية من المحيط الهادي ، او بالحري من نصفه الاسيوي . وفي السنوات الخمس التي تلت حادثة مكدن ، أنشأ الجيش — حاملاً الحكومة اليابانية المترددة على مجاراته — دولة منشوكو ثم غزا ولاية جيهول وأجزاء من مغوليا وحمل جانباً من شمال الصين على التسليم بسيطرة اليابان . وكان العمل الحربي يقوم به الجيش ، يقرن بالضغط السياسي على حكومة نانكين ، وهذه لم يسعها ، وقد تخلت عنها عصبة الامم في منشوريا ، الا ان تخلف من وقع الصدمة ، بالمناورات والمداورات الدبلوماسية

ثم في شهر ابريل من سنة ١٩٣٤ طلعت اليابان على العالم بالتصريح الذي وصف بأنه قاعدة مونرو اليابانية . اي ان اليابان تأخذ على عاتقها دون غيرها من الدول المحافظة على السلام في شرق اسيا ، ولا تسلم بأي تدخل اجنبي في شؤون الصين . وحوالي الوقت نفسه شرعت تطالب بالمساواة البحرية التامة بانكلترا والولايات المتحدة الاميركية ، وهو طلب افضى الى خروجها من مؤتمر لندن البحري (١٩٣٦) فاستردت بعد ذلك حريتها في ان تبني الاسطول الذي تراه لازماً لها بلا قيد ولا حد

وبدا لمتتبعي سير اليابان ، في خلال السنوات التي تلت غزو منشوريا ، ان خطة اليابان موجهة في المقام الاول الى الغرب والشمال من منشوريا اي الى اتحاد الجمهوريات السوفيتية .

في الفتح المنشوري كانت روسيا قد سلمت لليابان بما فعلت ، مع ان استيلاء اليابان على منشوريا يجرد روسيا من منفذ الى البحر كبير القيمة ، ويعرض ولايتها البحرية في شرق سيبيريا للخطر . وكان الظن حينئذ ، ان اليابان وقد رأت هذا الذي من روسيا ستعمد الى خطتها التاجحة ثانيةً . ولكن عند ما أتمت اليابان من ترسيخ قدمها في منشوريا وتنظيمها ، كانت روسيا قد عززت قواتها الحربية والبحرية في الشرق الاقصى ، بحيث اصبح من المحتم على اليابان ، ان تعمل حساباً لحرب كبيرة مع روسيا ، اذا اصرت على التوسع في تلك الناحية

عند ذلك اتجهت اليابان الى الجنوب

وعند التدقيق في اقوال اقطاب اليابان ، يتبين الباحث ثلاثة اتجاهات تقوم عليها خطة اليابان في شرق اسيا هي اولاً — الاتجاه الى قلب القارة الاسيوية عن طريق منغوليا . وثانياً — الاتجاه الى البلدان والجزائر في الجنوب . وثالثاً — التغلغل السلمي عن طريق السياسة والاقتصاد

١ — طريق منغوليا

القاعدة الاولى في خطة الجيش الياباني ابعاد ابواب الصين في قلب اسيا ، وذلك ببسط سيطرة اليابان على منغوليا الى سنكيانغ او حتى الى بلاد التبت ، فيقيم بذلك حاجزاً بين الصين واتحاد الجمهوريات السوفيتية . وارباب الخطط العسكرية في اليابان مقتنعون كل الاقتناع بانهم اذا أحدقوا بالصين ، خضعت لهم

وعلى كل حال فان السيطرة العسكرية على شمال الصين — وهي الولايات التي احتلتها القوات اليابانية في الغزوة الاخيرة — تقتضي من اليابان احتلالها منغوليا او اخضاعها لها . ففي مذكرة تاناكا المشهورة العبارة التالية : لا بدّ من افتتاح منشوريا ومنغوليا توطئة لفتح الصين . ومع ان السلطات اليابانية زعمت ان هذه المذكرة مزوّرة ، يقول الجنرال اراكي صراحة في كتابه عن « مشكلات اليابان » ان توطيد السلطة اليابانية في منشوريا ومنغوليا شرط لازم لتحقيق خطة اليابان . بل ويتنبأ بان الزحف على منغوليا لا بدّ ان يلقى من العقبات اكثر مما لقيهُ الزحف الياباني في منشوريا . ومع ذلك فعنده « انهُ مهما تكن العقبات التي تعترض سير الفكرة الامبراطورية فلا بدّ من تذليلها » . وكان الظنُّ ان روسيا تسلّم بتغلغل اليابان في منغوليا كما سلّمت بانتزاعها منشوريا ، فلما كشرت روسيا عن انيابها ، عمد اليابانيون الى منغوليا الداخلية

ولا يخفى ان التنافس الروسي الياباني في منغوليا يرتد الى اوائل هذا القرن . وقد كانت منغوليا حينئذ ، كما هي الآن جزءاً من الصين اسماً ، مع ان امراء المغول لم يعترفوا بسيادة الصين . فلما عقدت المعاهدة الروسية الصينية سنة ١٨٨١ اعترفت بها لروسيا من المصلحة والنفوذ في منغوليا ، وفي سنة ١٩٠١ عقدت روسيا مع منغوليا الخارجية معاهدة مستقلة ، ذلك ان منغوليا الخارجية كانت قد اصابت نصيباً غير يسير من الاستقلال عن الصين حالة ان منغوليا الداخلية غدت خاضعة خضوعاً

مباشراً للادارة الصينية. فلما انقضت الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤—١٩٠٥) شرعت اليابان تبدي اهتمامها بمغوليا فعقدت معاهدة مع روسيا في سنة ١٩١٠ قطعت فيها كل منهما عهداً باحترام مصالح الاخرى في الارض المغولية. ولم تحدد «الارض المغولية» قصداً لان يشور فيها مغول اسوة بمغوليا الخارجية والداخلية. ثم سعت الدولتان الى تعيين الحدود سنة ١٩١٢ ولكن التحديد الذي اقترح حينئذ لم يقم له وزن صحيح في ما بعد. وبعثت اليابان خطة التغلغل في مغوليا في سنة ١٩١٧ عندما قدمت الى الصين مطالبها المشهورة وعددها واحد وعشرون مطلباً. ولكن الدول ارغمتها حينئذ على سحب هذه المطالب. الا انها سارت الى اهدافها باساليب أخرى منها اثارة امراء مغوليا الداخلية وحثهم على القيام بحركة غرضها انشاء حكومة مغولية مستقلة استقلالاً تاماً عن الصين تشمل كل مغوليا. فقوّت روسيا عليها حركتها هذه في مغوليا الخارجية التي تدخلت فيها بالقوة وبعد سلسلة من الحوادث والفتن المحلية انشئت في مغوليا الخارجية جمهورية تعرف باسم جمهورية الشعب بمغوليا وهي خاضعة فعلاً للنفوذ السوفيتي.

والحالة الآن من الناحية القانونية، ان روسيا السوفيتية تعترف بسيادة الصين على مغوليا الخارجية، مع ان حكومة مغوليا الخارجية لا تعترف بها. وبين حكومة مغوليا الخارجية وروسيا السوفيتية محالفة عسكرية، عقدت سنة ١٩٢١ ولا تزال قائمة الى الآن. وقد أبلغ ذلك رسمياً الى السفير الياباني في موسكو في أول ابريل سنة ١٩٣٦. إلا ان هذه المحالفة كانت غير مدونة، خلال خمسة عشر عاماً بعد عقدها، ولكن لما حدثت اخيراً سلسلة من الحوادث على الحدود الروسية في قلب آسيا استدلت بها روسيا على ان اليابان ماضية في اتجاهها الى مغوليا، وضع بروتوكول حددت فيه نصوص المحالفة ووقع في «أولان باتور» عاصمة مغوليا الخارجية في ١٢ مارس سنة ١٩٣٦ وقيل عقدها بأيام أعلن ستالين (في أول مارس ١٩٣٦) انه «إذا تجرأت اليابان على مهاجمة جمهورية الشعب بمغوليا والاعتداء على استقلالها فاننا نبذل لها المعونة» فعلنا سنة ١٩٢١».

قد هذا القول، ولا سيما عند اقترانه ببروتوكول المعاهدة السرية، على ان روسيا لا تحجم عن خوض حرب اذا هاجمت اليابان مغوليا الخارجية. والباعث الاول على وقوف روسيا هذا الموقف، انه اذا كانت اليابان مسيطرة على مغوليا الخارجية، ونشبت حرب بين روسيا واليابان كان في وسع اليابان حينئذ ان تضرب جيوش روسيا في شرق سيبيريا، من مؤخرتها، ومهاجمة المراكز الصناعية ومستودعات الطعام التي حول بحيرة بيكال. ذلك أن الاستحكامات الروسية على الحدود القائمة بين سيبيريا ومنشوكو، منيعة جداً وقد يتعذر اختراقها. فاذا نشبت حرب بين روسيا واليابان، حالت هذه الحصون دون فوز حاسم يحرزه أحد الفريقين.

فقد ذلك ترى القيادة اليابانية ان مغوليا الخارجية خير سبيل الى ضربة الجيش الروسي.

فلما كشرت روسيا اليابان عن أنيابها ، وأبلغ السفير الياباني في موسكو نبأ المخالفة العسكرية بعد ما ألقى سنالين تلك الخطبة التي رويناها مقرأها ، انتشت اليابان عن حركة الاحداق بالصين عن طريق منغوليا الخارجية ، الى محاولة احتلال منغوليا الداخلية وهي جزء من الصين ، وقد حققت في غزوتها الاخيرة معظم هذا الهدف باحتلالها شمال الصين وجانباً من منغوليا الداخلية وحث امرائها على إنشاء دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًّا عن الصين

٢ — الاتجاه جنوباً

وتقابل خطة الجيش القائمة على الاحداق بالصين من الغرب، خطة الاسطول القائمة على التوسع جنوباً. وهي متفقة كل الاتفاق مع خطة الاحداق بالصين من الغرب والشرق والجنوب. ولعل العبارة التالية تدل على الجانب الاول من هذه الخطة وهي منزعة من مقال للفنتنت كوماندر تاميموتو رئيس قسم الحسابات في الاسطول الياباني، نشر في جريدة « طوكيو كيزاي » اكتوبر سنة ١٩٣٥ قال:

« إن الذين يتبرمون بقلة مصادر اليابان الطبيعية قصار النظر. ويجب عليهم أن يعلموا أن في شرق آسيا وجزائر البحار الجنوبية مصادر غنية جداً وجميعها في متناول اليابان الاقتصادي. فاذا نظرنا الى الموضوع من هذه الناحية تبيّنا أن اليابان أغنى في مصادر الثروة الطبيعية من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية. ولكن تحويل الثروة الكامنة الى ثروة حقيقية يقتضي أن يكون لنا اسطول كافٍ لسيادة البحار »

وكتب ماشيدا وزير التجارة والصناعة الياباني مقالاً جاء فيه « ان توثيق صلة التعاون الاقتصادي بمنشوكو والصين يتيح لليابان المواد الخام اللازمة لصناعاتها. ولكن علاوة على ذلك يجب ان نسير الى الامام في جنوب المحيط الهادي. فجزائر هذا المحيط على أكبر جانب من خطر الشأن من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية. ولا يتاح للصناعة اليابانية ان تستغني عن استيراد المواد الخام من الغرب الاّ بعد ان يمتد هذا التعاون (مع منشوكو والصين) الى جزائر البحار الجنوبية

وعلى ذكر ماشيدا نقول انهُ زعيم حزب « منسيتو » المعروف بحزب الاحرار !

كذلك خطب الاميرال تاكاشي فقال « كان تقدم اليابان الاقتصادي محصوراً حتى الآن في منشوكو. فيجب ان نقف هناك عند هذا الحدّ ونتجه الى الجنوب متخذين من جزيرة فورموسا او جزائر الاتداب قاعدة لاعمالنا. عندئذٍ يجب توسيع نطاق عمل الاسطول حتى يشمل غينيا الجديدة وبورنيو وارخبيل سليبس. لقد أنشىء أسطولنا لاجل الدفاع حالة ان أسطول أميركا أنشىء لحماية تجارتها الآخذة في الاتساع. أما وقد اخفقت المفاوضات البحرية في مؤتمر لندن فعلى الاسطول الياباني ان يأخذ الأهبة اللازمة لحماية تجارة اليابان . . »

وقد وظّفت الحكومة للتوسع في الجنوب بتعيين حاكم حربي من ضباط الاسطول العظام لجزيرة فورموسا ووضعت خطة واسعة النطاق لتعمير فورموسا وجزائر الاتداب. وقد نظمت الهجرة الى هذه الجزائر على اساس واسع وانشئت للراقي وشقت الطرق فيها واسست المصالح وحسنت وسائل المواصلات والمخابرات مع اليابان. وقد ثبت لجميع متتبعي الحالة في الشرق الاقصى، أن نشاط اليابانيين الاقتصادي في جزائر الفيلبين وسيام وجزائر الهند الشرقية الهولندية

قد زاد زيادة كبيرة في السنتين الاخيرتين ، واشتركت اليونات التجارية مع الوكالات الرسمية والشبيهة بالرسمية في هذا النشاط ، والقاعدة العامة المتبعة في جميع هذه الاحوال ان تسير التجارة اولاً ثم يسير المهاجرون فالضغط السياسي في الاثر ، وهي القاعدة التي جرى عليها الاستعمار دائماً

ثم ان المشتغلين بهذه الشؤون في اليابان ، يعنون الآن بتدبير حملة من الدعاية لتثير في نفوس اليابانيين شعور التأييد لمساعي اليابان في جنوب المحيط الهادىء وان لها رسالة انسانية هناك لا بدّ لها من تحقيقها . وليس بالنادر ان ترى في الصحف اليابانية اقوالاً من قبيل القول التالي وهو للسنر يادا رئيس الجمعية اليابانية اليمينية . قال : — ان الحالة الدولية في تغيُّر مستمرّ . ولا يعلم الى متى تتمكن هولندة من الاحتفاظ بممتلكاتها في جزائر الهند الشرقية ومجموع مساحتها يفوق مساحة هولندة نفسها ستين ضعفاً ، وهي تستغلُّها لمصلحتها الخاصة . ثم لا يعلم احد الى متى تبقى الهند بريطانية . فاذا نظرنا في هذه الاعتبارات ظهر لنا انهُ لا بدّ لليابان من ان تتجه جنوباً . ولا يسعنا ان نتأخر . وفي اتجاهنا جنوباً نلتقي بسيام . وهي بلاد تعدل مساحتها مساحة المانيا وفرنسا معاً ، وفي استطاعتها ان تنتج مقادير عظيمة من المواد الخام وهي مشبعة بروح الودّ نحو اليابان

وليس بخافٍ ان سيام منذ وقع فيها الانقلاب سنة ١٩٣٢ اخذت تتجهُ الى اليابان في ما تتطلبهُ من مشورة وما تحتاج اليهِ من مصنوعات اكثر مما كانت قبله . وفي السنتين الاخيرتين ، جرت اليابان وسيام على تبادل ثقافي تؤامهُ الطلبة والاساتذة وغيرهم . فالضباط السياميون الذين كانوا يرسلون قبلاً الى المانيا لتلقي العلوم العسكرية فيها ، يذهبون الآن الى اليابان

كذلك تحولت سيام عن دول اوربا الى اليابان في شراء ما تحتاج اليه من سكك الحديد وسفن حربية وغيرها

ولسيام موقع عظيم الشأن من الناحية الحربية في جنوب آسيا الشرقي . فهي الآن ملتقى طرق الخطوط الجوية الشرقية . فاذا رسخت اليابان قدمها فيها ، تمكنت من نجب قاعدة سنغافورة البحرية ، في نفوذها الى المحيط الهندي . نعم أن مشروع انشاء اليابانيين لترعة (كرا) في ارض سيام تصل بين خليج سيام وبحر بنغال لم يتمَّ دور البحث ، ولكن ازدياد مصالح اليابان في هذه البلاد يوسع نطاق مصالحها في جنوب المحيط الهادىء . ومن وراء الجزائر الانكليزية والهولندية في هذه المنطقة يلوح شبح استراليا وزيلندة الجديدة

الا أن الاتجاه الياباني الى الجنوب لهُ غرض آخر وهو الاحداق بالصين من ناحية البحر . والى هذا الغرض يتجه نشاط اليابانيين في الولايات الصينية الثلاث التي على ساحل الصين الجنوبي ، وهي فوكين وكوانتونغ ثم كوانغسي الى الغرب من كوانتونغ على حدود الهند الصينية الفرنسية

ويزعم بعض الكتّاب ، أن الثورات المتوالية في هذه الولايات ، على سلطة الحكومة المركزية في تكيين انما يرجع إلى مساعي اليابانيين فيها او على الأقل الى امداد الثوار بالسلاح الياباني. وإذا كانت هذه الحركة لم تصب حتى الآن نجاحاً يذكر في هذه الولايات ، لان حكومة نكين أخمدت كل ثورة نشبت هناك، فان اليابانيين من أبرع الامم في تحقيق اغراضهم بوسائل واساليب متنوّعة

وليس ثمة من ينكر أن السيطرة البحرية على سواحل الصين للاسطول الياباني ، وقد اثبتت الحرب القائمة الآن انها تستطيع ضرب الحصر البحري على هذه السواحل. ثم إن احتلال شنغاي والتقدم الى جنوبها يمكنها من التغلغل في الداخل ، الى المدائن الصينية القائمة على ضفات الانهر ، وهي العقد العصبية في حياة البلاد الاقتصادية

***

ان اتجاه اليابان جنوباً لا بدّ ان يفضي بها الى الاصطدام بمصالح الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية في المحيط الهادي . فقد كان هناك تفاهم ضمنيّ بين اليابان وانكلترا على اقتسام الصين ، فيكون شمالها منطقة نفوذ يابانية ويكون جنوبها منطقة نفوذ بريطانية. وكان الرأي انهُ لا يحتمل ان تعرّض اليابان نفسها للعزلة الدبلوماسية ، باصطدامها بمصالح روسيا وبريطانيا واميركا في آن واحد . ولكن الرأي تحوّل الآن . ففوة روسيا في سيبيريا ومغوليا الخارجية حالت دون تغلغل اليابان في قلب آسيا كما كانت تبغي . ثم ان منشوريا خيبت آمال اليابان من الناحية الاقتصادية . فصار لا بد لها من ان تجد منافذ اخرى لسكانها وبضائعها . وقد قضى على ما بقي من التفاهم الضمني المشار اليه بين اليابان وبريطانيا ، عند ما أبت اليابان التسليم بالمقترحات التي وضعها الخبير المالي البريطاني ، السر فردريك ليث روس سنة ١٩٣٥ لتعاون بين اليابان وبريطانيا في الصين

اما في ما يتعلق بالولايات المتحدة الاميركية ، فمنافعها بالشرق الاقصى قائمة على صلتها بجزائر الفيليبين أولاً وعلى تجارتها في الصين ثانياً

فالولايات المتحدة الاميركية لم تصبح في عداد الدول التي لها مصالح في الشرق الاقصى الاّ في أواخر القرن الماضي عند ما احتلت جزائر هواي (١٨٩٨) ثم تلا ذلك حلولها في جزائر الفيليبين (١٨٩٩) . وكان الرأي في أميركا اولاً ان الاستيلاء على الفيليبين سيكون توطئة للتوسع الاقتصادي الاميركي في بحار الشرق الاقصى . ثم تبين الاميركيون أن حماية الفيليبين تقتضي منهم تضحيات كبيرة . ثم استولت اليابان، بالانتداب على الجزائر الالمانية في المحيط الهادي . ونظرة واحدة الى الخريطة تثبت لك ان هذه الجزائر تعترض خط المواصلات بين ساحل أميركا الغربي والفيليبين. وكان من أثر نشاط اليابان الاقتصادي في هذه الجزائر ان اشتدت نزعة

العداء في العلاقات الاميركية اليابانية . فاذا كانت أميركا عازمة على الاحتفاظ بالفيليبين — ولو اعترفت باستقلالها — فالحرب بينها وبين اليابان لا محيص عنها

ولكن جميع الدلائل تدلّ على ان اميركا آخذة في الانسحاب من الشرق الاقصى . والراجح انها ستقصر جهدها على تحصين سواحلها الغربية ، وهي منيعة كل المنعة . وعندئذٍ تطلق يد اليابان في القسم الجنوبي من المحيط الهادىء . ولعلّ هذا يفسر موقف حكومة وشنطن في مؤتمر بروكسل واقتصار مساعيها على التوسط دون اي عمل آخر

***

بقي ان نقول ان الاتجاه الياباني جنوباً بيد رجال الاسطول الياباني ، لان هؤلاء لا يسعهم ان يتركوا مقام السيطرة على الخطط القومية لرجال الجيش وحدهم . ففي السنوات الخمس التي تلت احتلال منشوريا كانت الكلمة العليا لقوّاد الجيش على الرغم من ان وثيقين من رؤساء الوزارات كانوا من أمراء الاسطول . ولعلّ الاميرال سايتو والاميرال اوكادا . واذا ظلّ الاتجاه الى توسع اليابان على البر الاسيوي ، فالكلمة العليا في توجيه الخطط القومية ، لا بدّ ان تبقى لاقطاب الجيش . فلما ثبت ان منشوكو خيبت الآمال من الوجهة الاقتصادية ، وان التوسع في ما وراءها قد يفضي الى الاصطدام بروسيا ، شك بعضهم في حكمة الخطط التي اختطها الجيش . فسنحت الفرصة لرجال الاسطول للمطالبة بالتوسع جنوباً . فلما عقد المؤتمر البحري سنة ١٩٣٦ في لندن ، حث رجال الاسطول الحكومة اليابانية على المطالبة بالمساواة البحرية التامة ، بأميركا وبريطانيا . وكذلك حوّلت عناية الشعب من مشكلات التوسع على البر الاسيوي الى مجد الاسطول الذي ابى رجاله التسليم بمقام ثانوي بين الامم البحرية ، فانسحبوا من المؤتمر . ثم طالبوا بزيادة ميزانية الاسطول ، وجعلوا يدخلون في روع الشعب ان مستقبل اليابان في الجنوب ، او على صفحة الماء

الاّ ان الحرب الاخيرة اعادت السلطة لرجال الجيش ولا يعلم متى تنتهي هذه المرحلة

٣ — التغلغل السلمي

والقاعدة الثالثة التي تجري عليها اليابان في تحقيق حلم التوسع الامبراطوري هي قاعدة التغلغل السلمي عن طريق الضغط السياسي حيناً والمال والتجارة حيناً آخر

يلوح لقرّاء الصحف والبرقيات في خلال السنتين الماضيتين أن اليابان كانت تتكلم بصوتين . احدهما صوت القوة متجلياً في مطالب اقطاب الجيش والاسطول وتصريحاتهم وأعمالهم ، والآخر صوت الاعتدال بارزاً في خطط الحكومة ولا سيّما وزارة الخارجية وآراء رجال المال والاعمال . ولا ريب في أن هناك نوعاً من التضارب بين متطرفي الجيش واقطاب السياسة من المدنيين .

ولا ريب في أنهُ لو كان الامر مطلقاً بيد الحكومة المدنية، لما غزا الجيش الياباني منشوريا وجيهول وشمال الصين

ولكن يجب ألاّ ننسى أن في اليابان حكومتين . احداهما قوامها فريق من الوزراء مسؤول أمام المجلس النيابي والاخرى قوامها فريق آخر مؤلف من وزير الحربية ووزير البحرية ووزير السلاح الجوّي وهؤلاء متصلون مباشرة بالامبراطور ومسؤولون امامهُ دون غيره

وقد كان لهؤلاء الوزراء الكلمة العليا في تدبير الخطط الحربية وتنفيذها ، ولم يكن في وسع أي سياسي أن يؤلف وزارة اذا كان برنامجها لا يرضي اقطاب الجيش والاسطول . لأن العرف جرى بأن يكون وزير الحربية جنرالاً ووزير البحرية اميرالاً ، فاذا قبل جنرال أو اميرال الاشتراك في الوزارة وكان احدهما او كلاهما ممن لا يرضى عنهُ أقطاب الجيش ، تعذّر التعاون بين الحكومة والجيش ، وكذلك يستطيع اقطاب القوات الحربية أن يكونوا العامل الحاسم في تأليف كلّ وزارة ، أو اسقاطها ولو كانت الاكثرية تؤيدها في المجلس

وهذا يفسر القول بأن اليابان تتكلم بصوتين

***

الاّ انهُ لا يخفى ان القوة حيناً والمداورة الدبلوماسية حيناً آخر لازمتان للتوسع الياباني . ففي ميدان العلاقات الدولية ، تستطيع الدولة أن تتغلب على خصومها اما بقهرهم واما بالفوز بعطفهم وموافقتهم . وقد جربت اليابان على هذه الخطة مرة بعد اخرى ، وفقاً للاحوال القائمة

فقد حاول المسيو هيروتا — وزير الخارجية الآن — عند ما كان رئيساً للوزارة قبلاً ووزيراً للخارجية قبل ذلك ان يبذل المساعي للفوز بعطف الصينيين وفهمهم والتعاون واياهم وعلى الرغم من ان مساعيهُ وتصريحاته في هذا الصدد كانت متسمة بسمة التعالي والتشامخ وان الجيش كان يقوم ببعض الاعمال المثيرة في شمال الصين ، تمكن المسيو هيروتا من خفض شوكة المقاطعة الصينية للبضائع اليابانية ، خفضاً يذكر . ولما عزمت حكومة الصين على وضع نظام جديد للعرفة الجمركية ، عمد المسيو هيروتا الى خليط من الضغط الدبلوماسي والسعي الودّي فقضها بتأجيله وتعديله حتى يصبح موافقاً لليابان ، وكذلك فاز بالاعتراف ببعض ما لليابان من الديون والتعاون معها في نواحٍ شتى

وليس الغرض مما تقدّم ان اليابان كانت تستطيع ان تفوز بكل ما فازت به لو اعتمدت على الاساليب الدبلوماسية دون غيرها ، بغير ان تلجأ الى القتال ، ولكن الغرض ان نقول انهُ لو اعتمدت اليابان — قبل الغزوة الاخيرة — على القوة وحدها في تحقيق اغراضها لكانت حققتها اعظم

جداً مما كانت . حتى اذا شاءت بعد الثروة الاخيرة ، ان تحتفظ بسيطرتها على البقاع الشاسعة التي احتلتها باقامة دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًّا ، كان لا بد لها من الاعتماد على الوسائل الدبلوماسية في استمالة فريق من الصينيين انفسهم لتأييدها والتعاون وإياها

***

وأما القاعدة الثانية لتغلغل السلمي اليابان في الصين فهي الاعتماد على المال والتجارة . وقد سبق احتلال منشوريا ربع قرن من الزمن في مدّ سكك الحديد وشق الطرق وانشاء المرافىء وتشييد المصانع والسيطرة على العقد الصينية في حياة البلاد التجارية والمالية . ثم عمدوا الى مثل هذا في شمال الصين . ومن المسلم به عند المطلعين بشؤون الشرق الاقصى ان اليابان تمدّ عدتها لتحويل الصين الى منطقة تعتمد عليها في استخراج ما يمكن استخراجه منها من المواد الخام وهي كثيرة ، وفي بيع ما يمكن بيعهُ فيها من المصنوعات اليابانية وهي كما لا يخفى سوق عظيمة

فالزعيم من يات سن نافخ الروح القومية الجديدة في الصين ، ومنشىء الجمهورية الصينية ، كان يعتقد ان تحويل الصين الى دولة صناعية شرط لازم لتجديد حياة الصين القومية وابلاغها مكانة العزة والقوة التي ينشدها لها . ولكن اليابانيين يرون غير هذا . فهم يرمون الى تعزيز الزراعة وتربية المواشي وانتاج القطن ونتج المناجم في الصين ، لانهم يدركون انهُ اذا تحولت الصين دولة صناعية ، صارت منافسة لهم ، وغدت مصانعهم لا تجد في السوق الصينية المطلة منفذاً لمنتجاتها . وقد وضعوا خطة لتحقيق هذا الغرض قوامها شق الطرق ومد سكك الحديد وتأسيس محطات التجارب الزراعية ، وذلك على أساس ما رجع بهِ فريق كبير من خبراء اليابان الذين جاسوا خلال الصين مستطلعين متقين . والراجح انهُ اذا جاء دور التنظيم والتنسيق بين الخطة المتبعة في الصين ، وحياة اليابان الصناعية ، لم تباشره الحكومة اليابانية نفسها بل تعهد فيه الى شركة سكة حديد منشوريا الجنوبية ، وشركات كبيرة أخرى ، أحرزت في هذا الصدد اختباراً واسع النطاق في منشوريا

لقد سبق ان قلنا آمال اليابانيين في قيمة منشوكو الاقتصادية قد خابت ، وهذا حمل أقطابها على القول بأنهُ لا بدّ من السيطرة الاقتصادية على شمال الصين . ولا يعني هذا ان يضم شمال الصين الى منشوكو في دولة واحدة ، مع ان الامر ليس ممتنعاً لذاته ، ولكن الراجح ان تنشأ دولة مستقلة استقلالاً ذاتيًّا في شمال الصين ، ثم يتولى الخبراء ورجال المال والاعمال التنظيم الاقتصادي ، بحيث يكون قوام الوحدة الكبرى اليابان ومنشوكو وشمال الصين وقد اتسقت اجزاؤها وانتظمت نواحي الحياة الاقتصادية فيها من المناجم والمزارع الى المصانع الى السوق

عقل الطفل

في تربيته

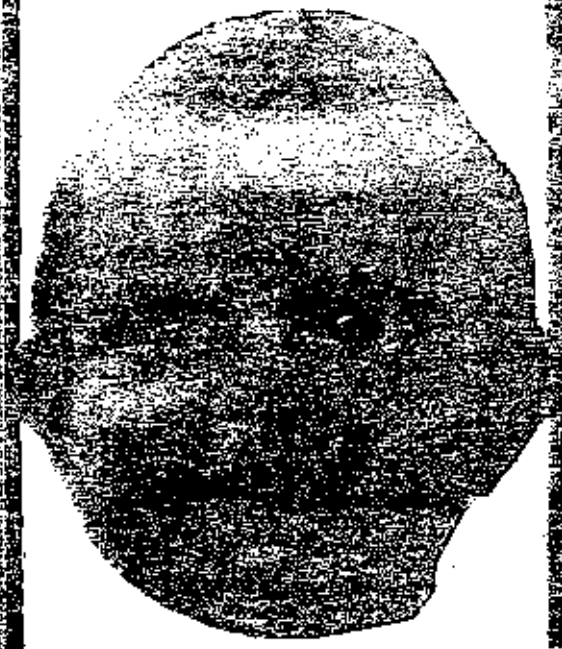

الاطفال

ضعاف العقول

للشيخ الله لحمد المراغي بك

الطفل المتأخر

كتاب قيم في الصحة والتربية